المقاربة السياقية للخطاب المسرحي في ضوء الكفاية الإجرائية للنحو الوظيفي الخطابي

ملخص

في هذا المقال، يحاول التطرق إلى أحد الجوانب النظرية المهمة في التحول الذي عرفته نظرة النحو الوظيفي في نموذجها الأخير المسمى (النحو الوظيفي الخطابي).[1]
حيث يتناول السياق الذي تمت مَوقَعَتُه داخل النظرية، من خلال إضافته كمكون من مكونات نموذجها الأخير. كما يحاول أيضا، التطرق إلى ما يمكن أن يمده المكون السياقي للكفاية الإجرائية لتحليل العرض المسرحي، عبر تحديد "الوضعيات التخاطبية"، كمفهوم إجرائي مشتق من السياق، واستثماره في التطبيق على الخطاب المسرحي.

أ. عبد الصمد لميش
قسم الآداب واللّغة العربية
جامعة المسيلة
الجزائر

مقدمة

عرفت نظرية النحو الوظيفي _التي يعود تأسيسها إلى أواخر السنوات السبعين من القرن الماضي على يد مجموعة من الباحثين يرأسهم اللساني الهولندي[2]"(سيمون ديك "Simon Dik")- عرفت تناميا نظريا في السنوات الأخيرة الماضية، أفضى بها إلى الإعلان عن نموذج خطابي جديد، عرف باسم "النحو الوظيفي الخطابي"، (Functional Discourse Grammar)[3]، المنسوب إلى الباحثين ("هنخفلد"، و"ماكنزي"، (2008)) [4]، وهو نموذج قدم ليكون قمينا بمقاربة كافة أنماط الخطاب بمختلف أحجامه وأقسامه، ابتداء بالمفردة

Abstract

This article focus on the new developments of the theory of "Functional Grammar" in its new model which named "Functional Discourse Grammar" .
The article also examines the context as a new component in the model, which gives us the communicative situation as a concept used in the empirical analysis of theatrical discourse.

© جامعة قسنطينة 1، الجزائر2014.

وانتهاء بالنص، مع تحديد دقيق لموضوع الدرس؛ تحديدٌ ينافح عن الطبيعة التواصلية للخطاب، ووحدته الدنيا التي هي "الفعل الخطابي". هذا، إلى جانب مفاهيم أخرى تحيط بأنماط الخطاب ومستوياته وطبقاته، مع تفسير لكيفية تحقق الخطاب في ظل مبدأ الانعكاس البنيوي القاضي بتبعية الخصائص الصرفية-التركيبيةوالصوتية في البنية السطحية،للخصائص التداولية الدلالية في البنية التحتية.

فاختيار النحو الوظيفي الخطابي لمقاربة الخطاب المسرحي، تعززه المفاهيم الجديدة التي أتى بها في السنوات الأخيرة، ابتداء من سنة 1997[5] إلى يومنا هذا، سواء ما تعلق بإعادة ضبط موضوع الدرس، أو ما تم تسطيره في السنوات القليلة الماضية من مفاهيم تخص النموذج الحواري للنحو الوظيفي،[6] الذي زود بمقلوبه، ليغطي دورة التخاطب في عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله، بالإضافة إلى مَوْقَعَة السياق كمكون داخل النموذج.

1. الكفاية الإجرائية للنحو الوظيفي:

يأتي الحديث عن الكفاية الإجرائية للنحو الوظيفي، في سياق تحديد الهدف المتوخى من الدرس، والمتمثل في السعي إلى تحقيق جملة من الكفايات هي: الكفاية النفسية، والكفاية التداولية، والكفاية النمطية، والكفاية الإجرائية. فإذا كانت الكفايات الثلاثة الأولى كفايات نظرية تتعلق بالجهاز الواصف للنظرية حين يوجه إلى الوصف اللغوي المحض، فالكفاية الأخيرة هي كفاية تطبيقية، ترتبط باستثمار نتائج البحث وتوظيفها كأدوات للتطبيق على ظواهر أو ميادين تكون اللغة جزءا منها.

ولمصطلح الكفاية الإجرائية مرادفان هما "الكفاية الانطباقية"[7]، و"الكفاية المراسية"[8]، وهي مصطلحات لما يمكن اعتباره مجالا جديدا تحت تسميات مترادفة، وهو مجال يعبر عن مدى واقعية نموذج نظرية النحو الوظيفي ودرجتها التطبيقية، بالنظر إلى ملموسيتها في وصف وتفسير بنية اللسان العامة. وعلى قدرتها النفعية وإمكانية إسهامها في حل مشكلات علوم أخرى؛ كالتعليمية والترجمة والنقد الأدبي وأمراض الكلام، والأمراض النفسية المسببة للاضطرابات اللغوية، وتحليل النصوص... وغيرها. حيث يمكن أن تعتبر هذه المقاربات لهذه الميادين كفايات يتم تحقيقها، وتوزيعها اصطلاحيا، نحو الكفاية التطورية (نسبة إلى تطور اللغة)، والكفاية التعليمية، والكفاية الترجمية، والكفاية السيميائية، والكفاية الحاسوبية، والكفاية النقدية،... الخ.[9]

فالنظرية اللسانية - وظيفية كانت أم غير وظيفية - يجب أن تحرز كفايتين اثنتين: كفاية لغوية تحرزها حين تستشرف مستوى الوصف الملائم لظواهر اللغات البشرية، وكفاية إجرائية تحرزها حين تستطيع نفس النظرية - لا نظرية أخرى- أن تطبَّق في مجالات اجتماعية اقتصادية.[10] فتكون معدّة لأن تجاوز حقل وصف وتفسير الظواهر اللغوية إلى حقل آخر أعمّ يمكن تسميته "القطاع الاقتصادي–الاجتماعي".[11]

بل إنّه من الممكن الذهاب إلى أبعد من ذلك والقول إنّ النظريات اللسانية – أو بعضها على الأقل – مُعدّةٌ الآن لأن تلج كذلك الأنساق التواصلية التي لا تستخدم اللغة، كالإيماء والرسم والأفلام الصامتة والقطع الموسيقية "الصامتة ". وهذا الأمر وارد بحكم أنّ للتواصل -بمختلف قنواته اللغوية وغير اللغوية- نسقًا عامًّا موحّدًا، وأن النظريات اللسانية قادرة على وصف هذا النسق.[12]

2. نظرية النحو الوظيفي:

تنتمي نظرية "النحو الوظيفي"، إلى تيار لساني يضم مجموعة من النظريات تتخذ "الوظيفة" كمفهوم ومكون قاعدي في جهازها الواصف. والسياق المناسب لفهم النظرية، هو ربطها بالخط العام الذي يبدأ من ظهور المدرسة اللسانية المسماة بـ"حلقة براغ" التي انبثقت عن لسانيات "دوسوسير" خلال العقدين الثاني والثالث من القرن الماضي، وينتهي بميلاد النحو الوظيفي مع اللساني "سيمون ديك"، بوضع أول نموذج للنظرية سنة 1978، في كتابه "النحو الوظيفي".

ليس القصد مما سبق، التأريخ للنظريات اللسانية التي ظهرت خلال هذه الفترة، وإنما تبيان الخط العام الذي تسير في اتجاهه قصد تمييزها[13].

فمن الناحية المنهجية، وبالنظر- في الوقت نفسه وبعين المقارنة- إلى ما يعاصر هذا الاتجاه من مدارس غير وظيفية، يُميز عامة في الدرس اللساني الحديث والمعاصر بين ثلاث تيارات، تعد بمثابة العناوين البارزة التي يمكن أن تحال إليها أغلب النظريات اللسانية، وهي: (التيار البنيوي، والتيار التحليلي، والتيار التواصلي-التداولي)، ويمكن وسم بدايات هذه التيارات بالثورات في مجال البحث اللساني؛ حيث شهد القرن العشرون ثلاث ثورات كبرى:[14]

- ثورة بنيوية بقيادة (دوسيسير). (Ferdinand de Saussure).
- وثورة توليدية تحويلية تحت لواء تشومسكي. (Naomi Chomsky).
- وثورة تبليغية "تواصلية" بزعامة هايمس. (Dill Hymes).

ونظرية النحو الوظيفي تنتمي إلى التيار الثالث، وهو التيار الذي يعزى فيه إلى "هايمس" عالم الأجناس الأميركي، فضل المناداة بالقدرة التبليغية أو التواصلية (Compétence de communication) موضوعا للدرس اللغوي، بدلا من "القدرة اللغوية" لتشومسكي. [15]فالنظرية هي من النظريات التي تعتمد أداتيّة اللغة كمنطلق منهجي أساسي، وتسعى في وصف القدرة التواصلية كموضوع للدرس، فيُتوقَّع أن يُصاغ جهازها الواصف كاستجابةً لشرط الانسجام بين النموذج النحوي وموضوع الدرس، على أساس إضافة مكون تداولي يشكل مع المكون الدلالي دخلاً للمكونين الصرفي– التركيبي والصوتي، حيث يتخذ المكون التداولي وضعًا قاعديًّا بالنسبة للمكونات الأخرى، يمدها ثلاثتها بما يحتاج إليه اشتغالها من معلومات.

هذا، خلافا للنظريات اللسانية ذات التوجه الصوري، التي تستبعد أداتيّة اللغة وتحصر القدرة -التي هي موضوع الدرس- في القدرة اللغوية الصّرف، حيث يُتوقَّع أن يُصاغ النموذج فيها اقتصارًا على ثلاثة مكونات هي المكون التركيبي–الصرفي والمكون الدلالي والمكون الصوتي. على أساس أنّ المكونين الثاني والثالث " تأويليان " لا تأثير لهما في المكون الصرفي – التركيبي ذي الاستقلال التام. [16]

أما نماذج نظرية النحو الوظيفي، فهي متعددة، حيث أعيدت صياغتها بإنماء مكوناتها وتعديل شكل جهازها الواصف، لذلك فقد عرفت منذ نشأتها صياغات مختلفة هي[17]:

- النموذج النواة، أو نموذج ما قبل النموذج المعيار (ديك 1978).
- النموذج المعيار (ديك 1989) و (ديك 1997 أ-ب)
- النحو الوظيفي المتنامي" (ماكنزي1998)
- نحو الطبقات القالبي (المتوكل 2003)
- نحو الخطاب الوظيفي (هنخفلد وماكنزي 2008)

والمتتبع للنظرية في البيئة العربية، يجدها أن هذه الأخيرة قد تعرفت على نظرية النحو الوظيفي من خلال نموذجين هما، "النموذج النواة" ويمكن إلحاق "النموذج المعيار"به، من خلال كتابات اللساني المغربي، أحمد المتوكل، وأهمها: (اللسانيات الوظيفية مدخل نظري)، وكتاب (الوظائف التداولية في اللغة العربية)، ونموذج "نحو الطبقات القالبي" من خلال كتاب أحمد المتوكل (الوظيفية بين الكلية والنمطية) على وجه خاص. [18]

3. النحو الوظيفي الخطابي:

يعد نموذج "النحو الوظيفي الخطابي" آخر نماذج نظرية "النحو الوظيفي"، وهو المعتمد حاليا لدى المشتغلين بالنظرية، ويأتي تقديمه في سياق السعي لتحقيق أكبر قدر من الكفاية النفسية في مجال وصف وتفسير مخرجات "مستعمل اللغة الطبيعية".[19]

ويتكون جهازه الواصف من أربع مكونات هي:(المكون النحوي، المكون المفهومي/المعرفي، والمكون السياقي، والمكون الخرج /الإصاتي). أما صيغة النموذج فتوضح معالمه الكبرى الترسيمة الآتية:[20]

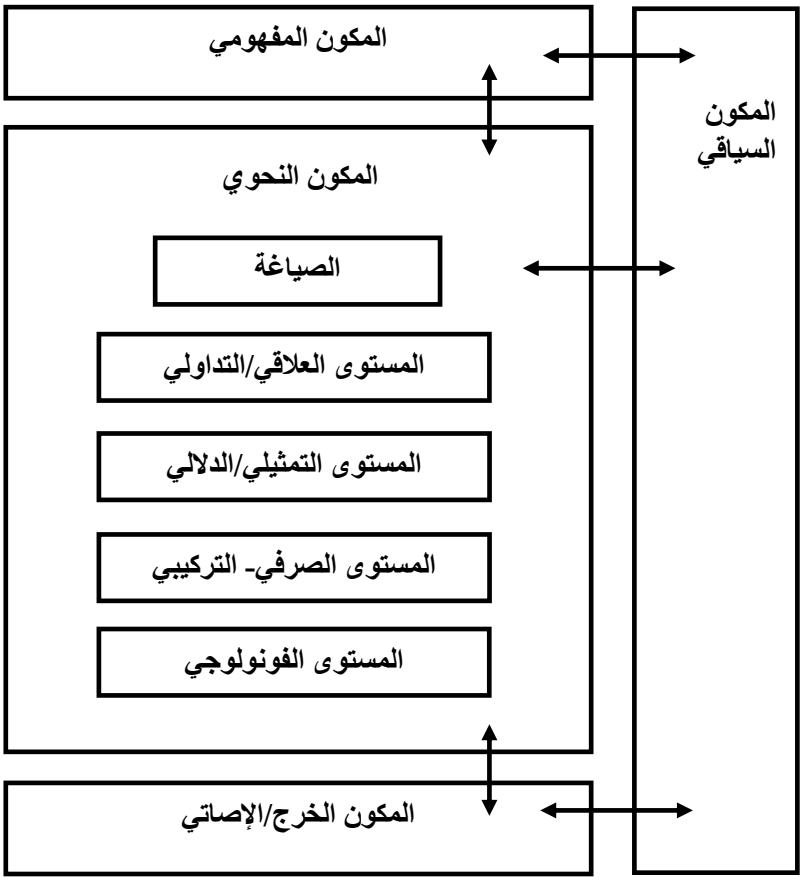

تقرأ الترسيمة كما يلي[21]:

أ- تُرصد داخل المكون المفهومي كل المعارف المتوافرة لدى منتج الخطاب، بما في ذلك معارفه اللغويّة الصّرف والمعارف الخطابيّة، إضافةً إلى معارفه عن العالم، الواقعي منه والمتخيّل. ويشكّل المكون المفهومي القوّةَ الدّافعة لباقي المكونات.

ب- تحدد خصائص الخطاب في المكون النحويفي ثلاث مستويات: مستوى علاقي (تداولي)، ومستوى تمثيلي (دلالي)، ومستوى بنيوي ينشطر إلى مستوى صرفي-تركيبي ومستوى فونولوجي.

المستويان العلاقي والتمثيلي خرجان لإوالية الصياغة التي تمثل للخطاب في المستوى الأول، في شكل فعل يتضمن فحوى قضويا قوامه فعل إحالي وفعل حملي، ولخصائص الخطاب الدلالية في المستوى الثاني.

وتتكفل إواليات قواعد التعبير بنقل المستويين العلاقي والتمثيلي إلى مستوى بنيوي تحدد فيه الخصائص الصرفية التركيبية والخصائص الصوتية.

ج- أمّا رابع المكونات، فهو المكون الذي يُطلق عليه " المكون الخرج" أو المكون الإصاتي، وهو ذو طبيعة مسموعة إذا كان الخطاب منطوقًا، وطبيعةٍ غير مسموعة (خطّيّة أو إشاريّة) إذا كان الخطاب غير منطوق. وتجدر الإشارة ، بصدد هذا المكوّن الفونولوجي، إلى أنه يفضي إلى تمثيل مجرّد متدرّج في البنية التحتيّة، يمكن أن يتحقّق بواسطة المكون الخرج بالصّوت أو الخط أو الإشارة أو غير ذلك.

د- يضطلع المكون السياقي برصد وتخزين المعلومات المستقاة من السياق بشقّيه المقالي والمقامي، وإمداد المكونات الأخرى بها عند الحاجة. هذه المعلومات، كما هو معلوم، فئتان : معلومات تُؤخذ من الموقف التواصلي نفسه مباشرة عن طريق الإدراك الحسّي، ومعلومات تُفاد من خطابا سابق يُشار إليها، عادةً، بالعود الإحالي. كما يقوم هذا المكون بدور الربط بين المكونات الثلاثة الأخرى.[22]

4. السياق في النحو الوظيفي الخطابي وتأويل الخطاب:

يضطلع المكون السياقي -كما أشير إليه سابقا- بمهمة رصد وتخزين المعلومات المستقاة من السياق بشقّيه المقالي والمقامي[23]، معلومات تُؤخذ من الموقف التواصلي والذي يشكل مصدرا لمعلومات الفئة الأولى، أي التي تؤخذ عن طريق الإدراك الحسي، فيتعلق بما يمكن إدراكه مباشرة بالحواس مما هو موجود من عناصر مغذية للخطاب لحظة التخاطب، كما في المثال الآتي[24]:

- هل يمكن أن تعيرني هذا الكتاب الذي تقرأه.

وأما معلومات الفئة الثانية، فهي متوفرة لا في ما يمكن رصده عن طريق الإدراك، وإنما يقع في خطاب لغوي سابق، نحو العبارة الآتية:

أ- انتهيت من قراءة الرواية التي اشتريتها قبل أمس من مكتبة المعرفة.

ب- هل يمكنكَ أن تُعيرَنيها؟

وفي مجال الحديث عن دور المكون السياقي في إنتاج وتأويل العبارات اللغوية والخطاب والأدبي، فإن الأبحاث-التي تنامت في الفترة الأخيرة- مست جانبين مهمين: الجانب الأول، يتعلق بالمكونات، والجانب الثاني، يتعلق بدور السياق في عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله.

فبالنسبة إلى المكونات[25]، فيرى المتوكل أنه إلى جانب المكونين السابقين، يمكن إضافة مكون ثالث هو (السياق العام)، فتصبح المكونات مجتمعة أشبه ما تكون بتلك الأطر ذات العلاقة الاحتوائية السلمية، التي تضيق كلما اقتربنا من العبارة اللغوية، مثلما توضحه الترسيمة الآتية:

(أ) - والمقصود بالسياق العام، الخلفية الاجتماعية الثقافية للمتخاطبين: (جغرافيا، وطبقيا، وسنا، وغير ذلك من المحددات ذات الصلة).

(ب) - أما السياق المقامي، فهو مجموعة العناصر المتواجدة في الموقف التواصلي أثناء عملية التخاطب، شريطة أن تكون ذات تأثير في هذه العملية إنتاجا وفهما.

وهذه العناصر المتوفرة في السياقين السابق ذكرهما، تندرج فيما يسمى بالمركز الإشاري، الذي يتضمن المتكلم والمخاطب والزمان والمكان، كما في الترسيمة التالية:

المركز الإشاري:

{(ك)،(ط)،(زم)،(مك)}

(ج) - أما السياق المقالي، فهو محط رصد وتخزين ما سبق العملية التواصلية من خطاب ملفوظ/مكتوب، (وما تلاها كذلك حين الحاجة إليه).

وأما فيما يتعلق بدور السياق في عمليتي الإنتاج والتأويل[26]، فالمكون يقوم أثناء اشتغاله داخل نموذج نحو الخطاب الوظيفي بدورين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر.

أ- فالدور المباشر، حينما يتعالق بدون واسط مع أحد مستويات المكون النحوي الأربعة، ومن أمثلته؛ تدخل السياقين المقامي والمقالي في انتقاء القوة الإنجازية أوالوظائف التداولية (محور ، بؤرة، ...) وتدخل السياق العام في انتقاء الوحدات المعجمية والمكونات الصرفية التركيبية وفقا للخلفية الاجتماعية الثقافية لمنتج الخطاب.

ب- أما الدور غير المباشر، فيتجلى حين يكون تدخله في مستوى من المستويات الأربعة، مؤثرا بكيفية من الكيفيات في مستوى آخر، مثال هذا ما يحصل حين تنتقى إحدى الوظائف التداولية، كالبؤرة مثلا، بالنظر إلى المحددات السياقية المقامية أو المقالية، ثم تنتقى البنية الصرفية التركيبية والبنية النبرية التطريزية وفقا للوظائف التداولية الواردة في المستوى العلاقي.[27]

إن العلاقة التي يمكن أن تجمع متكلما بمخاطب، لا بد أن تستحضر السياق وفق ما تقتضيه عملية التواصل، وأن حضوره يأخذ وضع التشارك الضروري لمعلومات

السياق بمختلف مكوناته والمعلومات التي تتضمنها تلك المكونات، بما يسمح بالانعكاس، حتى في السياق كمكون من مكونات نموذج مستعمل اللغة الطبيعية. فيشكل بذلك حلقة وصل مهمة، كونه يغذي عملية التأويل لدى المتلقي. [28]

5. وحدات التحليل في النحو الوظيفي الخطابي:

أما فيما يخص وحدات التحليل في نحو الخطاب الوظيفي، فيشار إلى التعديل الذي مس موضوع الدرس والوحدة الدنيا للخطاب، حيث تم الانتقال من الجملة إلى الفعل الخطابي، سواء أكان الفعل الخطابي جملة، أم نصا كاملا، أم مركبا اسميا، أم مفردة، شريطة أن تشكل هذه المقولات وحدات تواصلية قائمة الذات. بهذا الانتقال على مستوى الوحدة الخطابية الدنيا، تصبح الترسيمة الخاصة بالوحدة الدنيا القابلة للتحليل في نظرية النحو الوظيفي كما يلي[29]:

حيث ∞ = /نص/جملة/مركب اسمي/مفردة

استدعى هذا التعديل الذي حصل في موضوع الدرس، إعادة النظر في طبيعة ومقومات البنية التداولية، حيث أصبح يمثل لها على أساس أنها فعل خطابي("فعل لغوي" في مصطلح سورل (سورل (1969))، باعتباره الوحدة الدّنيا للخطاب، وأنه يتكون من قوة إنجازيّة (خبر، استفهام ، أمر،...) ومؤشّري المتكلّم والمخاطب وفحوى خطابي. ويتضمّن الفحوى الخطابي فعلاً إحاليًّا وفعلاً حمليًّا (أو أفعالاً إحالية وأفعالاً حمليّة)، كما يتبين من الترسيمة الآتية[30] (1):

(فعل خطابي 1: [(قوة انجازية)(ك) (ط)(فحوى خطابي1:[فعل احالي1)(فعل حملي1)] (فحوى خطابي1))] (فحل خطاب1))

والمستوى التداولي تبعا لهذا التعديل -والذي أصبح يسمى "المستوى العلاقي"- أصبح متضمنا لطبقتين كبريين : "نقلة" و "فعل خطابي"، باعتبار الفعل الخطابي الوحدة الدّنيا للخطاب. توضيح البنية العلاقية في الترسيمة التالية (2):

(∏نقلة1:[(∏فعلخطابي1:[قوة إنجازيّة[(ك)(ط)(∏فحوى1:[(حمل1)Ω(إحالة1)Ω][فحوىخطابي)](فعل خطابي1))](نقلة1))

حيث ∏ = مخصّص ، و Ω = وظيفة تداوليّة ، و ك=متكلم، و ط= مخاطب.

أما النقلة فيعرّفها هنخفلد وماكنزي بأنها " الفعل الخطابي أو الأفعال الخطابية التي تشكّل مداخلة أحد المشاركين في الحوار"[31] . والمثال الآتي يوضح إمكان اشتمال النقلة على فعل خطابي أو أكثر:

محاورة

نقلة1
أ- رأيت عليا مهموما اليوم. فعل خطابي1
ب- أتدري ما سبب اغتمامه؟ فعل خطابي2

نقلة2

ج- مع الأسف لم ينجح في امتحان البكالوريا هذا العام. فعل خطابي

حيث تضمنت النقلة الحوارية الأولى، أو مداخلة المتكلم الأول فعلين خطابيين، وهي نقلة حوارية واحدة، في مقابل النقلة الحوارية الثانية أو مداخلة المتكلم الثاني. (32)

والملاحظ، أنه في حالة النقلة التي تتضمّن أكثر من فعل خطابي واحد، فإنّ العلاقة التي تقوم بين الأفعال الخطابية التي تكوّنها تكون إمّا علاقة " تكافؤ " أو علاقة " تبعيّة"؛ ففي حالة التكافؤ، تكون كلّ الأفعال الخطابيّة أفعالاً "نوويّة"، أمّا في الحالة الأخرى، فيُميّز بين الفعل الخطابي النّووي والأفعال التّابعة. (33)

أما هنخفلد وماكنزي، فيشيران في معرض الحديث عن النّقلة بأنّها الطّبقة العليا في المستوى العلاقي، لكن هذا لا يعني عدم ورود طبقة تعلوها كطبقة "المحاورة "(34).

في هذا الاتّجاه، يقترح المتوكل أن تكون هذه الطّبقة "الحديث" في حالة الخطاب الذي لا حوار فعليا فيه، و"المحادثة" أو "المحاورة" حين يتقاسم المشاركان في الخطاب دوْرَيْ المتكلّم والمخاطب بالتّناوب.(35)

بهذه الإضافة تصبح بنية المستوى العلاقي البنية (3) بدلاً من البنية (2) :

(3) (∏ حديث / محادثة 1 : [نقلة 1 [....] (نقلة 1))] (حديث / محادثة 1))

في هذا المنظور، تُفهم "النقلة" على أنّها مداخلة أحد المشاركين، وعلى أنّها فعل أو مجموعة أفعال خطابيّة.

6. الوضعيات التخاطبية للخطاب المسرحي:

يتميز الخطاب المسرحي بصفة تعدد المتلقين، وتعدد الوضعيات التخاطبية نتيجة انفتاح العلاقة بين المتكلم/ الكاتب ونصه المكتوب من جهة، وبين النص في حد ذاته والمتلقين/القراء من جهة ثانية، وبين النص والعرض المسرحي وما يتضمنه من متلقين/متفرجين من جهة ثالثة، خاصة إذا تأمل الباحث في هذه العلاقة الأخيرة، التي تعبر عن عملية انتقاء لعلامات استدعائية أو إحالية، تصنع من الركح مجموعة مؤشرات رمزية تمهيدا لتلقي عملية التحويل الخطابية المتجسدة في (الحوار المسرحي) المنطوق، الذي حول عن الخطاب/الحوار المسرحي المكتوب.

لذلك فالكفاية الإجرائية الوظيفية ترصد الخطاب في سياقه، ولا تحتفي ببنيته إلا ضمن وضعية تخاطبية معينة ومحددة، وأي منهج يقارب الخطاب المسرحي ويخرج

عن هذا التصور سيجابه لا محالة، بجملة من الإشكالات المعقدة.فهو ينظر إلى الخطاب المسرحي لا من حيث الثنائيات التي نجدها في أغلب الدراسات التي أقيمت عليه (كثنائية النص مقابل العرض)، بل من حيث هو رسالة نصّية بين متخاطبين تتعدّد جهات إرسالها وجهات تلقّيها. محكومة بظروف إنتاجها المقامية والمقالية، ضمن السياق العام الثقافي الفني، بمختلف عناصره المؤطرة لعملية التواصل والمساعدة على نجاحها أو المسهمة في فشلها.[36]

6. 1. تحديد الوضعيات التخاطبية في الخطاب المسرحي:

انطلاقا مما سبق، يميز في الخطاب المسرحي بين عدة وضعيات تخاطبية هي:

1. وضعية تخاطبية كلية، تربط بين المؤلف/الباث والنص/الرسالة في جميع الأحوال، حيث يبقى النص محافظا على علاقته بمؤلفه وذلك من خلال المؤشرات الحاضرة في متن النص الورقي، (اسم المؤلف، توقيعه في آخر المقدمة،...(النصوص التوجيهية))، أو بوسيلة الإعلان المعتادة السابقة للعرض المسرحي على الركح والتي يؤشر فيها لمؤلف المسرحية المزمع عرضها، أو بالإشارة إليه في (جينيريك التسجيل في حالة التحجر).

2. وضعيات تخاطبية تؤطرها علاقات خاصة داخل الوضعية التخاطبية الكلية؛ حيث يتوفر لدينا في المحصلة، ثلاث وضعيات تخاطبية جزئية أو مشتقة.وفيما يلي تفصيل الحديث عن هذه الوضعيات التخاطبية، جميعا.

6. 1. 1. الوضعية التخاطبية الكلية:

إذا كانت هذه الوضعية والتي اخترنا لها مصطلح الوضعية التخاطبية الكلية،[37] تربط المؤلف بالنص، إلا أنها تقطع صلته المباشرة به وترصدها ضمن الخطابات التي تمتاز بالحضور غير المباشر للمتكلم، وذلك تبعا لطبيعة الخطاب المسرحي المتمثلة في كونه نصا يحتوى على نصوص متبادلة عبر النقلات؛ فهو يبنى على المحاكاة الموقفية من خلال استحضار الموقف التواصلي، واقتراح ما يمكن أن يؤدى من أفعال خطابية لا بين المؤلف والقارئ/المتلقي، بل بين شخصيات يقترحها أو يرشحها المؤلف لتقوم بدور نقل الرسالة نيابة عنه وبطريقة غير مباشرة وذلك بجعلها تتحاور، حتى تبدو مقنعة وجديرة بأن تقرأ. [38]

ويتأسس هذا الوضع التخاطبي عند اللحظة التي يصدر فيها نص الخطاب ويتلقاه القارئ في شكل ورقي.

وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن مرحلة التأسيس إما أن تكون منهية للوضعية الخطابية، أو موسعة لها بأن تكون (ناقلة)؛ بمعنى أنها تختار من بين القراء من ينقلها إلى العرض، وذلك بتدخل قارئ هو "المخرج" الذي ينقل النص بمعية "الممثلين" إلى العرض بعد أن مر على الوضع التخاطبي الأول.

6. 1. 2. الوضعيات التخاطبية الجزئية :

بناء على تحدد الوضع التخاطبي العام، تشتق الأوضاع التخاطبية الخاصة المشار إليها سابقا، وهي:

1 – الوضعية التخاطبية: (النص-القارئ)،

2- الوضعية التخاطبية: (العرض-المتفرج/ركح)،

3- الوضعية التخاطبية: (العرض المتحجر-المشاهد /وسائط سمعية بصرية).

وفيما يلي تفصيل لهذه الوضعيات التخاطبية الثلاثة.

6. 1. 2. 1. الوضعية التخاطبية: النص/القارئ:

وهي تنميط -إن صح القول- لثنائية (نص-قارئ)، وهي الوضعية الأولى التي يتحقق فيها الخطاب المسرحي، حيث يستدعي تشغيل نموذج مستعمل اللغة الطبيعية لدى المتلقي. والتشغيل المكثف للقالب التخييلي من أجل بناء "الفضاء الدرامي" انطلاقا من قراءته لنص المسرحية ، كشرط لازم لتقبل القيم الإبلاغية الثاوية فيه[39]، ولذلك يمكن القول بأن النص -كرسالة مكتوبة منقطعة عن مؤلفها انقطاعا تقتضيه طبيعة الوضع التخاطبي- يحتاج إلى امتلاك القارئ لمقدرة نصية تخييلية لأجل اكتمال الرسالة الخطابية؛ والمتمثلة فيما يمكن أن يجره الحوار المسرحي معه من نظام إحالي يوزعه المؤلف بشكل مقصود على نقلات شخصيات المسرحية.

6. 1. 2. 2. الوضعية التخاطبية: العرض/الجمهور المتفرج:

في الوضعية التخاطبية هذه، يتحول النص إلى باث ناطق، بعد أن يتم نقله من طرف المخرج والممثلين من الوضعية (1) إلى الوضعية (2)، حيث يبنى العرض عن طريق إنطاق النص المكتوب بواسطة الممثلين، وإرفاقه بالعناصر الإخراجية (الأزياء، الممثلين ومهاراتهم، الخلفيات، الاضواء)، حيث يعمل الممثل على حمل النص والحفاظ عليه ونقله عبر التحقيق الصوتي الأمين.

فيميز إذن، في الفضاء التخاطبي لهذا الوضع، تبعا لمعيار الأوضاع الخطابية السائدة، بين فضاء العرض في علاقته بالجمهور، من حيث هو فضاء تواصلي متجسد فعلا يعود أثره على الجمهور، وفضاء النص الورقي الذي ينحصر أثره على القارئ.

6. 1. 2. 3. الوضعية التخاطبية: العرض المتحجر/المشاهد:

والمقصود بتحجير العرض تسجيله وفق وسائل التسجيل المعروفة بالمسجل السمعي البصري، "الكاميرا" تحديدا[40]. وهو ما يولد وضعية تخاطبية مخصوصة، تضم مرسلا ومشاهدا/متلقيا متأخرا عن العرض الفعلي زمانا. فهي وضعية تخاطبية يكون الباث فيها هو العرض المتحجر، والمنقول عبر وسائط سمعية بصرية إلى متلق هو المتفرج أو المشاهد.

وهذه الوضعية، تعد بمثابة امتداد للوضعية السابقة (2)، حيث إن سمة النقل فيها غير محدثة للتغيير، فهي تقوم بالتحجير فقط.

7. الوضعيات التخاطبية وتحليل الخطاب المسرحي:

تعد الوضعية التخاطبية، أحد المخرجات الإجرائية لمكون السياق في نحو الخطاب الوظيفي؛ فهي تشتق من السياق بمختلف مكوناته خاصة المقامية منه، وأما مفهومها - في سياق التحليل الإجرائي للخطاب الأدبي عموما والخطاب المسرحي خصوصا- فهو ما ينتج عن تعالق خطابي بين جملة من النقلات داخل مشهد مسرحي، بما يحتويه من عناصر إشارية ركحية تخص الشخصيات المتحاورة، انطلاقا من المركز الإشاري، والطبقي،والسني، والسلمي لكل شخصية، هذه العناصر الإشارية هي ما يوجه نقلات الشخصيات، وما يتولد من مداخلاتها من قيم خطابية ركحية (أي ذات انعكاس ركحي).

وأما ما يؤطر الوضعيات التخاطبية، فجملة من المعايير، تحدد عددها وحدودها وعلاقاتها في الخطاب المسرحي الواحد.

والوضعية التخاطبية الركحية -أي وضعية العرض المسرحي- هي وضعية محكومة بالمعاني والدلالات الإشارية الركحية، التي لا مناص من إدراجها كعامل في تحديد الوضعيات التخاطبية الممكنة، وتبعا لذلك، تحديد الخصائص السطحية للبنية التحتية الخطابية لحوار العرض المسرحي.

علما أن بنية العرض المسرحي تخضع لما يسمى بالانشطار إلى مجموعة من الوضعيات التخاطبية التي تتعدد داخل العرض؛ فقد يحتوي العرض الواحد على عدة مشاهد، أو فصول يتغير فيها المركز الإشاري (شخصيات/ممثلين، وخلفيات، وعناصر إشارية،...)، فيرافقه تحول في محور الخطاب جزئيا أو كليا.

ويعد تحديد الوضعيات التخاطبية في العرض المسرحي بمثابة تقسيم للعرض، ومجالا تتخصص فيه المراكز الإشارية، فتفصيل البحث فيها ضروري، بل لازم، لكشف ما يسفر عنه التعالق الحاصل بين بنية المراكز الإشارية للمتخاطبين وبين اختيارات المؤلف والعارض/المخرج، خاصة الاستراتيجيات التي يسلكها هذين الأخيرين، فتسم البنية التحتية (التداولية/الدلالية) على مستوى كل من فعل الخطاب ومكوناته، والنمط الخطابي وخصائصه.

الخاتمة

حاول هذا المقال إضاءة جانبين مهمين من جوانب نظرية النحو الوظيفي، جانب التعريف بنموذجها الأخير وبمكوناته خاصة المكون السياقي، الذي أظهر أن النظرية النحوية أصبحت تولي أهمية كبيرة للسياق باعتباره موضع تحقق الخطاب إنتاجا، وموضع يسمح بتأويله من خلال رصد المراكز الإشارية لكل عملية تخاطبية، مما يسهم في وصف وتفسير الخطاب انطلاقا مما يقدمه السياق لمستعمل اللغة الطبيعية من

إمكانيات تسمح بإنجاح عملية التواصل والتي منها التواصل الفني المتعلق بالخطاب المسرحي.

أما بالنسبة إلى الجانب الثاني الذي تمت إضاءته في هذا البحث، فقد تبين فيه أن الكفاية الإجرائية ستجد ضالتها لا محالة إن هي أعملت المفهوم الإجرائي المشتق من السياق، وهو مفهوم الوضعيات التخاطبية بما تحتويه من مراكز إشارية، والذي تم استثماره في الكشف عن تعدد للوضعيات التخاطبية، مما يوفر للمحلل اللساني فرصة اختيار الأدوات الإجرائية للتحليل وفق ما تدفعه إليه حاجة البحث لديه لاختيار واحدة أو أكثر من الوضعيات التخاطبية السالفة الذكر.

الهوامش

1- ترجم عنوان النظرية من الإنجليزية بعبارة: "النحو الوظيفي الخطابي" من طرف اللساني المغربي عز الدين البوشيخي. ينظر: عز الين البوشيخي: نموذج مستعمل اللغة الطبيعية من النحو الوظيفي إلى النحو الوظيفي الخطابي. أعمال ندوة: المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه. منشورات جامعة مولاي اسماعيل، كلية الاداب والعلوم الانسانية، مكناس، سلسلة الندوات عدد 20، 2009. ص ص .189

2- سيمون ديك باحث هولندي، ولد في هولندا سنة 1940، درس في البداية اللسانيات اللاتينيّة في كلية الآداب بجامعة أمستردام التي شغل فيها منصب عميد، ثم النحو الوظـيفي الذي يعد أول مؤسس لنظريته التي حملت هذا الاسم في كتابه الأول سنة 1978 :1978 Simon Dik : Functional Grammar. North-Holland.Amsterdam ثم أصبحت معروفة باسم نظرية النحو الوظيفي منذ سنة 1988 إلى اليوم، و قد توفي سنة 1995.

3- ينظر:

Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar: A Typologically-Based Theory of Language Structure. Oxford: Oxford .(University Press (August, 2008

4- الباحث Kees Hengeveld ، أستاذ بجامعة أمستردام (Amsterdam) بهولندا. والباحث J. Lachlan Mackenzie أستاذ بجامعة لسبون (.Lisbonne) بالبرتغال.

5 - ينظر:

Dik, Simon C .The theory of Functional Grammar; Part 2, Complex and .Derived Constructions. [TFG2]. Berlin : Mouton de Gruyter. 1997

6 - ينظر:

J. Lachlan Mackenzie: Cognitive adequacy in a dialogic Functional Discourse Grammar, Language Sciences 34 (2012) 421–432

7- ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار

الأمان، الرباط. ط1، 2006. ص.152

8 - ينظر: يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي. رسالة دكتوراه مرقونة بمكتبة كلية الآداب واللغات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2005-2006. ص .88

9 - يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي. ص88-.98

10- محمد مليطان: نظرية النحو الوظيفي- دراسة في المصطلح والمعجم، رسالة دكتوراه مرقونة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب 2011. ص ص 15-.17

11- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور. الدار العربية للعلوم ناشرون (مع آخرين). بيروت. ط1. 2012. ص.30

12 - أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية و النمطية، دار الأمان، الرباط. ط1، 2003. ص.51

13 - ينظر: يحيى بعيطيش: مرجع سابق. وينظر أيضا:

CS Butler: Functional Theories of Language : Encyclopedia Of linguistics .2006. p 696

14- ملحوظة: لا يعني هذا التحديد التنكر لأول الاتجاهات الوظيفية في مراحل سابقة، كجهد (أعضاء حلقة براغ اللغوية) (Members of the Prague Linguistic) في الثلاثينيات من القرن العشرين، وخاصة ما جاء به جاكبسون في مجال دراسة وظائف اللغة، وفق منهج بين فيه عناصر عملية التحليل وهي: المخاطِب، والمخاطَب، والخطاب، ومقام الخطاب، وقناة التخاطب، ووضع الخطاب "CODE". وتتولد عن هذه العناصر وظائف هي: (الوظيفة المرجعية F.REFERENTIELLE) (الوظيفة التعبيرية F.EXPRESSIVE) (الوظيفة الانتباهية F.PHATIQUE) (لوظيفة الإفهامية F.CONATIVE) (الوظيفة ما وراء لغوية F.META-LINGUISTIQUE) (الوظيفة الشعرية F.POETIQUE). وقد اعتبر جاكبسون الوظيفة التبليغية أهمّ وظيفة، أما باقي الوظائف فتتمحور حولها، لأنّ التّبليغ هو الماهية الأولى للّغة.

15- يحيى بعيطيش: مرجع سابق. ص .30

16- أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص ص40 -.41

17 - أحمد المتوكل: مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي, دار الكتاب الجديد بيروت. 2009. ص ص 7-.8

18 - للإطلاع على النماذج يحال القارئ على كتب أحمد المتوكل ومقالاته. حيث يعد أول الباحثين العرب الذين انبرو لتقديم النظرية إلى العالم العربي لفترة تجاوزت الثلاثة عقود، أي منذ بُعيد تأسيسها إلى يومنا هذا.

19- ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي.

20 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط. الدار العربية للعلوم ناشرون (مع آخرين). بيروت. ط1. 2010. ص ص16 – 44 .

وينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص .86

21- أحمد المتوكل: نفسه، ص ص84-.87

22 - ينظر:

23- Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar. pp11-14.

23 - ينظر:

Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar: p11.

24 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص.17

25 - ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص.38

26 –ينظر: أحمد المتوكل: نفسه، ص.38

27 - أحمد المتوكل: نفسه، ص .37

28 - ينظر:

F. Cornicish .language Science 38 (2013) pp83-98. p.95

29 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص32.

30 - أحمد المتوكل: نفسه، ص 33.

31 - ينظر:

Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar: p 50.

32 - أحمد المتوكل: التركيبات الوظيفية ، قضايا ومقاربات. ص .53

33 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص.34

34- ينظر:

Hengeveld, Kees; Mackenzie, J. Lachlan: Functional Discourse Grammar: p 50.

35 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص.32

36 - ينظر:

Michel Pruner: L'analyse du texte de théâtre. Armand Colin, paris, 2000. P83 .

37- فان دايك: النص والسياق. تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000. ص ص 282-225-228

38- للإشارة، فإن المؤلف قد يختار من الشخصيات ما يعبر بها عن رأيه الخاص فينطق على لسانها بما يعبر عن قناعاته وأفكاره الشخصية، وقد يظهر موقفه من خلال تغليب موقف شخصية أو عدة شخصيات على مواقف الآخرين.

39 - يميز في الخطاب المسرحي بين نص الخطاب، ونص خطاب العرض.

40- يتخصص العرض في هذا الوضع بصفة التحجر، الذي نتج عن فعل التسجيل السمعي البصري، كما يتخصص، أيضا، من حيث خصائص التسجيل الذي يستند على مبدأ التبئير، حيث يركز المصور دائما على المتكلم فيوجه إليه عدسة الكاميرا. من هنا، يأتي الفرق بين العرض المشاهد مباشرة أو العرض الحي والتسجيل، إضافة إلى أن التحجير هو تحجير لكل العرض بما فيه الجمهور الذي يرصد في شكل تجاوب صوتى.

كما يتقاطع هذا الوضع مع الوضع الأول (نص-قارئ)، من حيث الإمكانية التي يوفرها

التسجيل أثناء مشاهدة الشريط، بحيث يمكن للمتحصل على نسخة من التسجيل، أن يقدم أو يؤخر في الشريط أثناء المشاهدة تماما كما يفعل القاريء.
ينظر: معجم المصطلحات السينمائية، ماري تيرز جورنو، تر: فائز بشور، جامعة باريس3، السربون الجديدة.